مجلة الحكمة للدراسات الاعلامية و الاتصالية
Eissn :2600-6863 Issn : 2353-050
المجلد 1 / العدد 04 (2013)، ص 115 –149

# الاختراق الثقافي بفعل القنوات الفضائية والتغير في منظومة القيم الأسرية

أ. عبد الناصر عزوز.
جامعة المسيلة- الجزائر

- مقدمة:

يعيش العالم اليوم ويزدحم في مجمل أجزائه ومختلف مجالاته بمستجدات ومتغيرات لم يسبق له أن شهدها في مراحل سابقة، هذه التحولات شكلت منعطفا هاما في حياة الشعوب جعلتها تدرك شيئا فشيئا ومرحلة تلوى الأخرى بأنها مقدمة على العيش في عصر جديد بات حقيقة ألا وهو عصر التكنولوجيا والغزو الفضائي والثقافي، ولما كانت هذه الظاهرة في بداية تكوينها ولم تأخذ مداها المتصور لدى الإنسان، أصبحت تشكل هاجسا يرفع جملة من التحديات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية والفكرية والقيمية والمعيارية على دول العالم. ونظرا لآليات الاختراق التي تمتلكها ، فقد أصبح مجال تأثيرها واسع النطاق، يشمل المجتمع بأنساقه المختلفة وأهمها جميعا الأسرة، وذلك لإنفرادها بمجموعة من الخصائص والسمات جعلتها تحتل موقعا متميزا مقارنة بالأنظمة الاجتماعية الأخرى، فهي الوحدة الاجتماعية التي يقع على عاتقها مسؤولية المحافظة على النوع الإنساني، واستمرار تراثه الاجتماعي والثقافي والفكري والتاريخي والحضاري والقيمي. كما تلعب دورا بالغ الأهمية في المحافظة على قيم المجتمع التي تعد الأساس في تنظيم التفاعل الاجتماعي وضبط وتوجيه سلوك أفراده، وهي المسئولة عن إنتاج القيم وخلقها، ولكن وظيفتها هاته أصبحت تنازعها فيها مؤسسات أخرى كوسائل الإعلام بفضل الاختراق الثقافي الذي تمارسه والثقافات والقيم والمعتقدات المتمايزة التي تحملها الفضائيات، مما جعل المجتمعات تخشى على قيمها ومعاييرها وتراثها وتاريخها الذي يشكل هويتها الخاصة

بفعل قوة الاختراق التي تأتيها من كل اتجاه. وعليه جاءت هذه الورقة لتبحث في الاختراق الثقافي الممارس بفعل القنوات الفضائية على منظومة القيم الأسرية في المجتمعات العربية كاستجابة علمية لرصد آلياته ووسائله وآثاره، والكشف عما إذا كان يعمل بعيدا عن العمليات الاجتماعية المحلية، أم يشكل تهديد لها يستلزم المواجهة قبل فوات الأوان.

**1- تحديد مفاهيم ومصطلحات:**

**أ- الاختراق:**

يشير الاختراق لغة إلى معنى التجزئة، فالخرقة القطعة من الثوب. ولعل أهم مميزات الاختراق أنه ينطوي على قصد عدائي من جانب معين إزاء مجتمع آخر؛ مما يجعله يشكل تهديدا حقيقيا للأمن الثقافي، وذلك من خلال محاولات منظمة تهدف إلى تشويه ثقافة مجتمع ما وغرس قيم غريبة عنه.

إن الاختراق الثقافي ليس تثاقفا بالمعنى المحايد للمصطلح والذي يشير إلى نوع من التبادلية من خلال عمليات القبول والتكليف، وفي الوقت ذاته لا يعبر عن عملية انتشار تأخذ شكل تفاعل ايجابي أو اتصال مورفولوجي أحادي الاتجاه من خلال الطبقة الوسطى، أو من خلال المنافسة أو المحاكاة أو من خلال تماثل المؤسسات(1).

**ب - الثقافة:**

ثمة الكثير من القضايا ما زالت مدركاتها غامضة وغير واضحة منها قضية الثقافة، فقد عرفت بتعاريف متعددة ومتنوعة. ويعد تايلور أول من استخدم مفهوم الثقافة في كتاب نشر له حول الثقافة البدائية عام 1871. والذي أصبح المرجع الأساسي للأعمال في مراحل تالية، حيث عرف الثقافة بأنها: " ذلك الكل المعقد الذي يتضمن المعرفة والاعتقاد والفن والحقوق والأخلاق والعادات وكل قدرات وأعراف أخرى اكتسبها الإنسان كفرد في المجتمع(2). والثقافة من وجهة

نظر روث بندكت هي بمثابة الفرد تقريبا، فهي تمثل نمطا منسقا من الفكر والسلوك(3 ). وقد عرفت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الثقافة بقولها: "تنتظم جميع السمات المميزة للأمة من مادية وروحية وفكرية وفنية ووجدانية وتشمل مجموعة المعارف والقيم والالتزامات الأخلاقية المستقرة فيها وطرائق التفكير والإبداع الجمالي والفني والمعرفي والتقني وسبل السلوك والتصرف والتعبير وطراز الحياة، كما تشمل تطلعات الإنسان للمثل العليا ومحاولته إعادة النظر في منجزاته، والبحث الدائم عن مدلولات جديدة لحياته وقيمه ومستقبله وإبداع كل ما يتفوق به على ذاته"(4).

ما يلاحظ من خلال هذا التعريف أنه يركز على "ما نحن" بتعبير ماك إيفر وليس على ما نستخدم أي المدينة، فالحضارة بمعناها الشامل تتضمن الثقافة وهوية الإنسان، ويعد البعد التاريخي عاملا جوهريا في مفهوم الثقافة بوصفها تراكما كميا ونوعيا يتفاعل مع الواقع تكيفا وتجاوزا في امتداد مستقبلي، ويلاحظ كذلك أن من أهم العناصر المكونة للأمم والدول القوية هي عناصر روحية ثقافية، ولعل في مقدمتها اللغة والدين والتاريخ المشترك وهو الوعاء الزمني للثقافة، وتعزز تلك العوامل بوحدة الأصل والعرق والأرض. ولما كانت الثقافة العربية تتميز بالشمولية إضافة إلى امتدادها الجغرافي والإثني فستكون هدفا لقوى الاختراق المختلفة(5 ).

**ج- القنوات الفضائية:**

يرتبط مفهوم القنوات الفضائية ببعض المفاهيم الأخرى كالبث الفضائي، ومن ثم سيتم تحديد أولا المقصود بالبث الفضائي ثم القنوات الفضائية.

يعرف البث الفضائي المباشر على أنه: "اتصال يتم بصفة آلية من محطة الإرسال التلفازي إلى الجهاز التلفازي البيتي، دون أي وسيط سوى أقراص الالتقاط المقعرة، ويتماثل هذا الإرسال بالاتصال الإذاعي الذي لا يتقيد بحدود

المكان والزمان". يوضح هذا التعريف أن الاتصال في البث الفضائي يتم بصفة آلية ولا يحتاج إلى وسيط سوى أقراص الالتقاط المقعرة، كما يبين أن هذا البث لا يتقيد برقعة جغرافية معينة فهو لا يعترف لا بالحدود ولا بالسيادة، إضافة أنه غير مقيد بزمان معين، وإنما هو مستمر طوال ساعات اليوم، مما يجعل تأثيره أمرا واقعا لا محالة على مالكيه.

وعرّفه احمد عبد المالك بأنه: "عملية بث مواد إلى القمر الصناعي بقصد إرجاعها إلى بقاع بعيدة لا يصلها الإرسال الهوائي الأرضي(6). ومازالت العمليات التكنولوجية جارية لتسهيل عملية وصول البث المباشر إلى دول العالم بوسائل سهلة ورخيصة، حيث تسعى الشركات لإتمام البث الفضائي المباشر عن طريق الهوائيات الاعتيادية من دون الاستعانة بأطباق البث الفضائية ويتوقع ذلك مع بدايات القرن الواحد والعشرين(7).

أما القنوات الفضائية فتعرّف بأنها: "محطات تلفزيونية تبث إرسالها عن طريق الأقمار الصناعية، لكي يتجاوز هذا الإرسال نطاق الحدود الجغرافية لدولة الإرسال، حيث يمكن استقباله في دول ومناطق أخرى عبر أجهزة خاصة لاستقبال والتقاط الإشارات الوافدة من القمر الصناعي عربسات ونايل سات وهوت بيرد، أساسيات، يوتل سات، وبانام سات وغيرها...وهي تشمل قنوات عربية وأجنبية، والقنوات العربية ذاتها تتضمن قنوات حكومية وخاصة... (8). "ويعرفها سعيد ناصف بأنها: " تلك القنوات التي تعتمد على البث التلفزيوني المباشر من خلال الأقمار الصناعية..." (9).

يتضح من خلال هذه التعاريف للقنوات الفضائية بأنها عبارة عن محطات تقوم بإرسال مواد إعلامية من دولة أو منطقة إلى أخرى من خلال أقمار صناعية متعددة، وتقوم مناطق أخرى بالتقاط تلك المواد من خلال أجهزة الاستقبال، ولمّا كانت عملية الاستقبال تتم فقط من خلال أطباق البث، فهذا يعنى أنها تتخطى

حدود السيادة، وتبقى مسألة اختيار القنوات والبرامج على اختلاف مضامينها مسألة شخصية تعود في المقام الأول إلى ضمير الفرد ورغبته، وتتنوع تلك القنوات من الأجنبية إلى العربية، كما أن بعضها حكومي والبعض الآخر خاص، وربما هذا ما يفسر سر الانتشار الواسع والمذهل للقنوات الفضائية خاصة العربية. ويبين سعيد ناصف أن القنوات الفضائية تعتمد في بثها لبرامجها من خلال البث التلفزيوني المباشر الذي يعتمد بدوره على الأقمار الصناعية الموجودة في الفضاء.

وتستخدم إحدى الطريقتين في نقل البرامج التلفزيونية عبر الأقمار الصناعية، تعتمد الأولى على نقل البرامج من موقع إلى آخر ويتم الإرسال من مكان إلى آخر(10). بينما تعتمد الثانية على نقل البرامج إلى القمر الصناعي عبر المحطة الأرضية في مكان ما ثم ترتد الإشارة من القمر الصناعي إلى منطقة جغرافية شاسعة يتم استقبالها بشكل مباشر من خلال أجهزة الاستقبال التلفزيونية فقط(11).

**د- القيم: values:**

**أولا: القيم لغة:**

استخدمت القيمة لغة لمعرفة قيمة الشيء، فقيمة الشيء قدره، وقيمة المتاع ثمنه، والقيمة ثمن الشيء بالتقويم، وورد في المعجم الوسيط: قيم الشيء تقييما أي قدره، واستخدمت القيمة أيضا بمعنى التعديل والاستقامة والاعتدال. قيل: قام الأمر بمعنى اعتدل واستقام، وقام الحق: أي ظهر واستقر، وقوم الأعوج: أي عدله وأزال اعوجاجه(12). وتعني القيمة لغة أيضا: الثمن الذي يقوّم المتاع، أي يقوم مقامه، وجمعها قيم، ويقال ماله قيمة إذا لم يدل على شيء(13). قال تعالى: ﴿ ...ذلك الدين القيم... ﴾ الآية 36 سورة التوبة. أي المستقيم، والمقوم لأمور الناس، وقال تعالى: ﴿يتلو صحفا مطهرة، فيها كتب قيمة﴾ الآية 2-3 سورة البينة، إي ذات قيمة رفيعة. وقال تعالى: ﴿ قل أنني هداني ربي إلى صراط مستقيم

دينا قيما ملّة إبراهيم وما كان من المشركين﴾ الآية 161 سورة الأنعام، أي مستقيم لا عوج فيه. واستخدمت بمعنى العدل حيث يقال: القوام "بفتح القاف" العدل. قال تعالى: ﴿وكان بين ذلك قواما﴾ الآية 67 سورة الفرقان. وقوم الأمر بكسر القاف عماده ونظامه(14).

وهكذا يتضح أن للفظ القيمة في اللغة معان عدة فهي: القدر، والثمن، والاستقامة، والاعتدال، والقدر الرفيع، والعدل. ولعل التعدد في معان القيمة يجعل من الصعب قياسها فعليا أو واقعيا، وتلك هي صعوبات تواجه المشتغلين والمهتمين بدراسة القيم.

**ثانيا: القيم اصطلاحا:**

في الحقيقة للوصول إلى تعريف محدد لمفهوم القيم نجد أن هناك وجهات نظر متعددة طرحها علماء الاجتماع في هذا الإطار، فإذا كان "فلوديان زنانيكي f. znaneiki " و"وليم توماس w. thomas "اللذان استخدما مصطلح "القيمة" في كتابهما الذي يتحدث عن الفلاح البولندي في أوروبا وأمريكا، وهو الاستخدام الأكثر ذيوعا، فإنّ علماء الاجتماع قد استخدموا ألفاظا أخرى تشير إلى بعض جوانب الثقافة كالعرف والطرائق الشعبية(15). ففي تعريفه للقيم يربط "ماليسنوفيسكي" بين القيم والوظيفة، فيعرفها بأنها: "اتصال قوي وحتمي بموضوعات قيم أو معايير أو أشخاص ينظر إليها باعتبارهم وسيلة لإشباع حاجات الكائن الحي(16). ويعرف "بارسونز" القيمة بأنها: " عنصر في نسق رمزي مشترك يعتبر معيارا أو مستوى للاختيار بين بدائل التوجيه التي توجد في الموقف. فكأن القيم هنا تمثل معايير عامة وأساسية يشارك فيها أعضاء المجتمع وتسهم في تحقيق التكامل وتنظيم أنشطة الأعضاء"(17). وهناك من عرفها بأنها: المرغوب فيه، أو ما يرغب فيه الفرد أو الجماعة الاجتماعية، وقد تتمثل الرغبة في الأفكار، أو في العلاقات الاجتماعية، أو في الجوانب المادية وكل ما يتعلق بمتطلبات

المجتمع(18). ويعرفها بارك وبيرجس park and burgess بأنها: أي شيء قيمته قابلة للتقدير(19). ويعرفها هنري بأنها: أي شيء يرى فيه الفرد الخير مثل: الحب، الشفقة، الهدوء، القناعة، المرح، الأمانة، الذوق، الترويح، البساطة. ولا تقتصر القيمة على ما هو خير فقط، بل قد ترتبط بالشر مثل: الثأر عند القبائل، وحتى لوأد البنات كان له قيمة عند بعض المجتمعات(20 ). وتعرف بأنها: " تنظيمات لأحكام عقلية انفعالية معمّمة نحو الأشخاص والأشياء والمعاني وأوجه النشاط، إضافة إلى كونها نتاج اجتماعي يكتسبها الفرد تدريجيا من خلال التنشئة الاجتماعية"(21). ويمكن النظر للقيم على أنها تكوينات فرضية ومفاهيم مجردة ضمنية، يتم الاستدلال عليها عن طريق التعبير اللفظي والسلوك الشخصي والاجتماعي... (22). والقيم معتقدات مصدرها الثقافة والتفاعل الاجتماعي، وتتضمن ثلاثة عناصر هي العنصر العرفي والعاطفي والسلوكي(23). وتساهم في إعطاء نوع من التماسك لمجموع القواعد والنماذج الثقافية في أي مجتمع(24).

من خلال التعاريف السابقة لمفهوم القيم، يمكن الوصول إلى تحديد جملة من العناصر الأساسية فيما يتعلق بالقيم والموقع الذي تحتله في نسق الثقافة:

- تعتبر القيم أحد المكونات الأساسية للثقافة حسب علماء الاجتماع، وهي وسيلة لإشباع حاجات الكائن الحي حسب زنانيكي، وهي التي تضطلع بتوجيه سلوك الفرد.

- وحسب باسونز للقيم دور في التنظيم الاجتماعي إذ تساهم في تحقيق تكامله.

- تعد القيم رموزا مرغوبا فيها من قبل المجتمع، أو أنها أشياء مادية تشكل موضوع اهتمام من الجماعة، أو أن هذه الأخيرة تخلع عليها تقديرا خاصا.

- توجد القيم في المجتمع، وهي محصلة للتفاعل الاجتماعي الذي يحدث بداخله، وهي التي تهتم بمسؤولية تنظيم السلوك والتفاعل، ويتم استيعابها من خلال التنشئة الاجتماعية.

- للقيم وظيفة اجتماعية حسب مالينوفيسكي، قد تكون على مستوى الفرد أو الجماعة، وتعمل القيم على تنظيم وإشباع الحاجات البيولوجية.

- القيم موروثة تتوارثها الأجيال الحالية عن الأجيال السابقة، وهي قابلة للتعديل، فمن الطبيعي أن يحدث تعديل على القيم حسب الظروف، وتعرف هذه الظاهرة بظاهرة التغير في القيم.

- تتسم القيم بالاستمرار النسبي وفي الوقت ذاته قابلة للتغير، فلا يمكن تصور قيم دائما مطلقا، وإلا أصبح التغير على المستوى الشخصي والاجتماعي أمرا مستحيلا.

- تساهم القيم في تحقيق التماسك الاجتماعي.

**هـ- الأسرة:**

يعرّفها "بيرجس ولوك (E.w. Burgess-H.j.locke) بأنّها جماعة من الأفراد تربط بينهم رابطة الزواج أو الدم أو التبني ويعيشون ويتفاعلون مع بعضهم البعض، لكل فرد منهم دوره الاجتماعي الخاص به كزوج وزوجة، كأم وكأب، وكابن وابنة، وكأخ وأخت، مكونين بذلك ثقافة مشتركة، وتعرّف الأسرة بوصفها أيضا جماعة اجتماعية نظامية تتكون من رجل وامرأة- تربط بينهما رابطة زوجية مقررة- وأبنائهما. ومن أهم الوظائف التي تضطلع بها هذه الجماعة، هي إشباع الحاجات العاطفية وممارسة العلاقات الجنسية، وتهيئة المناخ الاجتماعي الثقافي الملائم لرعاية الأبناء وتنشئتهم، أمّا ماكيفر" فيعرّف الأسرة على أساس العلاقات الجنسية المستمرة على نحو يسمح بإنجاب الأطفال وتقديم الرعاية لهم(25). والأسرة، حسب كل من "أجبيرون Ogburn" و"نيمكوف (Nimkoff)"، هي منظمة تأخذ شكل الديمومة النسبية وتتكون من زوج وزوجة مع أطفال أو بدونهم، أو تتكون من رجل وامرأة على انفراد أو مع وجود أطفال، وتقوم بين هؤلاء علاقات قوية متماسكة تعتمد على أواصر الدم والمصاهرة والتبني والمصير

المشترك، وتمثل الأسرة من وجهة نظر أحمد زكي بدوي الوحدة الاجتماعية الأولى في المجتمع التي يقع على عاتقها مسؤولية المحافظة على النوع الإنساني، وهي تقوم على أسس يرتضيها العقل الجمعي، وعلى القواعد التي تقرّها المجتمعات المختلفة(26).

**2- قوى الاختراق ومرجعيته ووسائله:**

**أ- قوى الاختراق:**

تتمثل قوى الاختراق في قوتين إحداهما تتمثل في قوى خارجية تمثلت على طوال عقود من الزمن في الاستعمار، وفي هذا السياق يمكن القول أن تاريخ العرب يفصح عن عملية متواصلة تتألف من الاختراق ورد على الاختراق، وتعد اليوم العولمة من أوضح نماذج الاختراق. والقوى الثانية داخلية تمهد للاختراق وتدعمه وتدعو له(27). فالنسبة للقوة الأولى فنجد أن من أخطر آثار السيطرة الاستعمارية هو فرض ثقافة المستعمر وقيمه ومحاولة إحلالها محل الثقافة العربية، لأن ذلك يعني استئصال جوهر الهوية القومية العربية، ومن ثم الشروع في تمزيق وحدتها وتجريدها من قدرتها على مواصلة البقاء على قيد الحياة، ذلك لأن البلاد التي عانت من الاستعمار لن تستطيع أن تتحرر بسرعة من مفاهيم الثقافة وأنماطها التي خلفها الاستعمار، لاسيما ما يتعلق بالبنى الاجتماعية والاقتصادية وبأنماط السلوك والاتجاهات والمواقف الفعلية السائدة(28).أما بالنسبة للقوى الثانية، فقد انتشرت البحوث –في كل بلد تقريبا-عن الأقليات العرقية والطائفية من أجل إبراز الخصوصيات والهويات والتعدديات الثقافية للقضاء على وحدة الثقافة، ووحدة الوطن ووحدة التاريخ ووحدة المصير. وانتشرت مشاريع دراسة المرأة وادخل مفهوم الجندر في كل شيء ولم تعرف بعد مفهوم المواطنة التي لا تفرق بين ذكر وأنثى(29).

**ب- مرجعية الاختراق وأهدافه:**

تتحدد معالم مرجعية الاختراق فيما يلي:

-إن كل مرجعيات الاختراق قديمها وحديثها فارسية كانت أو تركية أو أوروبية هي ذات طابع شعوبي واضح لا سبيل لإنكاره وفي كل أحوالها وبصرف النظر عن آلياتها وفلسفتها تنتقص من العرب، وتقلل من كفاءتهم الحضارية وانجازاتهم.

- تنظير يشكل ما يمكن أن نطلق عليه بالمنظور التقسيمي للمجتمع العربي، وينطلق من مبدأ أن الانقسامية حالة طبيعية وحتمية في البنية العربية، أما على الصعيد العملي، فإن ذلك التنظير يشجع على تفتت البنى الوطنية.

- يحاول ذلك التنظير التدليل على وجود حالة من الانفصام والعزلة ما بين الدوائر الثقافية الفرعية المتداخلة مع الثقافة العربية الإسلامية.

- مصادرة أو إضعاف الأثر التوحيدي لعناصر الثقافة العربية الإسلامية، ومن أهمها الدين واللغة، من خلال إنكار القيمة الإبداعية للغة العربية والتشكيك بمنظورات القيمة الأخلاقية للإسلام وتشجيع الفكر الطائفي.(عن طريق محو الثقافة والدفع باعتناق ثقافة جديدة) (30).

- تصطنع مرجعية الاختراق مجموعة من المفاهيم والمبررات والشعارات التي تجمد من آليات الدفاع الذاتية لكل ثقافة، وتقوم على أساس تصورات تاريخية تحدد العدو والصديق وترسم حدود ومسافات التجنب، ويعاد تشخيص الأصدقاء والأعداء على نحو يخدم مصالح الاختراق.

- نشر وتكريس قيم ومعتقدات لا تنسجم مع جوهر الثقافة العربية الإسلامية كالفردية والأنانية والحث على الاغتراب عن مشاكل الأمة والميل إلى الاستهلاك المظهري.

- إن مرجعية الاختراق عندما تنشط في بلد معين أو في جزء منه؛ فإنها تنهش في جسد الأمة وعقلها وتعمل على تشويه تاريخها. (31).

**ج-وسائل الاختراق وآلياته:**

تتداخل وسائل الاختراق وتتبادل التعزيز والتأثير، إذ تصبح ذات قوة موحدة وإن بدت مساراتها واتجاهات نشاطها متباينة، وفي حالة المقارنة بين تلك الوسائل يشعر البعض بفقدان الرابطة بينها ومن بينها:

أولا: الاختراق بالسلاح كمدخل لإحداث تغييرات بنيوية وثقافية: ويمكن أن تحسب على هذا النوع الحركات الشعوبية المسلحة والموجات الصليبية. والتي لم تكن حروب بل محاولات استعمارية منتظمة ذات مضمون ثقافي عبر عن مجتمع غرب أوروبا، وكان ذلك المضمون الثقافي تعبيرا عن رؤية مجتمع الغرب للكون، فالاختراقات العسكرية ليست منقطعة عن جذورها الصليبية (32).

ثانيا: وسائل الاتصال الحديثة( تكنولوجيا الأقمار الصناعية): لقد أصبحت وسائل الاتصال الحديثة أداة الاختراق الرئيسة للثقافات من أجل مصادرة خصوصياتها.

ويعتمد الاختراق الثقافي على التكنولوجيات الجديدة، فقد أدت تكنولوجيا الاتصال بالأقمار الصناعية منذ منتصف الثمانينات إلى نشوء وسيط جديد قوي له امتداد عالمي، والى ظهور شبكات إعلامية عالمية يصل إرسالها إلى كل بقاع العالم(33). يقول لسترثرو في نظرته للاتصالات وتكنولوجيات المعلومات: "هي فرصة تاريخية لكسر طوق التخلف عن الدول النامية". ويصف سالوف كوستا عصر الاتصالات المقبل على البشرية قائلا: "...عن الدماغ والأعصاب ستكون فيه هي أدوات الإنسان، وأن المعلومات هي مصدر سلطته، والمبادلات الالكترونية طريقة في التعامل"(34). وإذا كان الفيلسوف الانجليزي توماس هوبز قد صور الدولة ذات يوم على أنها ليفايثون – حيوان توراتي أسطوري ضخم- فإن ليفايثون هذا العصر هو تقنية المعلومة، ومالكها أو منتجها، وفي ذلك يقول علماء المستقبليات: ثمة ثورة تجتاح عالم ما بعد بيكون الحالي(35).

**3- مخاطر الاختراق الثقافي بفعل الثورة في مجالي الإعلام والاتصال:**

تتزايد الاتصالات بين الناس وثقافاتهم-أفكارهم وفهمهم وأساليب حياتهم- وتتعمق على نحو غير مألوف، من خلال وسائل الاختراق الثقافي، فبعد استقبال الثقافات الجديدة أصبح البعض يشعر بالقلق، وقد عبر عن ذلك المهاتما غاندي قائلا: " لا أريد أن يكون منزلي محاطا بجدران من جميع الجوانب، ونوافذي مسدودة، فأنا أريد أن تهب ثقافات جميع البلاد على منزلي بأقصى درجة ممكنة من الحرية، ولكن أرفض أن تعصف بي أي ثقافة منها"(36).

" في الماضي كانت التحولات والتغيرات تأخذ وقتا طويلا، يصل إلى القرون أحيانا، قبل أن تفرز الفكر المعبر عنها وعن اتجاهاتها، بل كانت التحولات ذاتها بطيئة في إيقاع حركتها وفي أثرها الاجتماعي والمعرفي، أما اليوم فالتحولات والتغيرات هي من السرعة والديناميكية بحيث يصعب رصدها ومتابعتها، ومن ثم إدراك أثرها في مختلف المجالات، وخاصة في النفس البشرية، وعقد التسعينات الذي عشناه شهد من التحولات والمتغيرات ما يمكن أن يتجاوز كل ما شهده الإنسان في تاريخه السابق"(37). إن الحدود التي هي إطار الدولة وسيادتها تبدو عاجزة أو هي عاجزة فعلا عن الوقوف في وجه أطباق البث الفضائي والانترنيت والفاكس والهاتف، لقد قضت ثورة الاتصال على أهمية المكان، وأصبح المكان هو المكان طالما أنه يحقق الغاية. لقد أصبح التغير الاجتماعي وما ينبثق عنه من متناقضات وعوامل شد وجذب أكثر سرعة وأكثر جذرية في تحولاته، لدرجة أن جيلا واحدا من البشر قد يعايش عدة أنماط من التحولات الاجتماعية(38).

ولقد تولت العولمة القيام بعملية تسطيح الوعي واختراق الهوية الثقافية للأفراد والشعوب والأمم، فهي ثقافة جديدة تماما لم يشهد التاريخ مثيلا لها من قبل، ثقافة إشهارية إعلامية سمعية وبصرية تصنع الذوق الاستهلاكي (الإشهار التجاري) وتشيد رؤية خاصة للإنسان والمجتمع والتاريخ إنها ثقافة الاختراق(39).

**الاختراق الثقافي بفعل القنوات الفضائية والتغير في منظومة القيم الأسرية**

إن ثقافة العصر التكنولوجي القادرة على الوصول إلى المخدع الزوجي، لا شك أنها تثير حساسيات ثقافية متعددة، لا سيما وأن قضية مثل قضية الهوية والذاتية الشديدة العلاقة بالمسألة الثقافية هي من الأمور العزيزة على الأفراد والجماعات(40). فقد أصبح حديث الهوية هو حديث ذو شجون، خاصة في منطقة ممزقة بين تيارات الحاضر والماضي مثل المنطقة العربية والإسلامية، التي تعيش حالة من الشيزوفرينيا الابستمولوجية، والتمزق بين التاريخانية والترميزية وفق تعبيرات داريوش شايغان، وما ينتج عن ذلك من تشتت في مفهوم الهوية، فنحن نعيش حالة من التمزق بين حالتين، الأولى هوية نموذجية متعالية ومتسامية، بل ومقدسة في الذهن، والأخرى عملية، بل ومدنسة في الذهن رغم الممارسة، ونحن بينهما متذبذبون(41). وتشغلنا إشكالية الثنائية المستعصية بين القبول الذي يجد تعبيراته في الإيماءة بالحداثة، وبين الرفض الذي ينصب الهوية درعا لاتقاء الخارج ودفع بلائه (42).

والأكثر من ذلك أصبح الفكر العربي عاجزا عن تقديم إجابات شافية بما يحصر الهوية، ولم نستطيع الرد على النداء الذي أطلقه فارنز فانون إلى مثقفي العالم الثالث قبل وفاته حيث قال فيها أيها الرفاق لقد انتهت اللعبة الأوربية فلنبحث عن شيء مغاير(43).

ومن ثم يمكن أن يفضي الاختراق الثقافي إلى ما يلي:

- تطويق الإبداع الفني والأدبي لدى الشعوب ذات الهويات الثقافية من خلال إغراقها في تسويق صناعتها ومنتوجاتها.
- تهميش الثقافة الوطنية واللغة(44).
- إلغاء الرابطة الروحية والتراث والتاريخ للأمم الذي يعد الدين والتراث والتاريخ جزء من تكوينها الشخصي والحضاري والاجتماعي والإنساني. فهاهي شبكات الإعلام العالمية حاليا تقوم بنقل هوليود إلى القرى النائية، وتدخل إلى كل

بيت فيه جهاز تلفاز وفيه قناة فضائية. وغزو الثقافة الأجنبية هذا يمكن أن يعرض التنوع الثقافي للخطر ويجعل الناس يخشون من فقدان هويتهم الثقافية، ومن شأن هذا الغزو أن يحقق أهدافه على نحو أفضل لا سيما بالنسبة للمجتمعات التي ترتفع فيها نسبة الأمية. ففي عام 1997 كان ما يناهز 850 مليون من البالغين أميين(45).

ويبدو أن الهجمة الثقافية غير واضحة للعيان، لأنها تستهدف الروح لا المادة، والهوية ليست مادة. فهي تحاول التوغل إلى منظومة القيم والمبادئ والمفاهيم الأساسية للثقافة الوطنية وزعزعة القناعات بها، والهدف من ذلك هو النيل من الخصوصيات الثقافية وتدمير هويتها، فالعولمة في صراعها مع ثقافات الأمم الأخرى تستخدم نمطا من إيديولوجيا الاختراق، تقوم على نشر وتكريس جملة أوهام تنتظم على أساسها مكونات الثقافة الإعلامية الجماهيرية للقوى المهيمنة، وتكون محصلتها النهائية هي تكريس الإيديولوجية الفردية المستسلمة، والتي يتم توظيفها لضرب الهوية الثقافية الوطنية بل وكل الفئات الاجتماعية بمستوياتها المختلفة(46).

**4- القنوات الفضائية وتأثيرها على منظومة القيم الأسرية:**

لماذا الأسرة؟ تعد الأسرة المؤسسة الاجتماعية الأولى في المجتمع التي تضطلع بوظيفة التنشئة الاجتماعية (Socialization)، وذلك لانفرادها بمجموعة من الخصائص المميزة، فهي المكان الأول الذي تتم فيه باكورة الاتصال الاجتماعي، والحضن الأوّل للطفل في مرحلة المهد وفي مراحل تالية للتربية المقصودة، إضافة إلى دورها في بناء الشخصية الإنسانية، وضمان الجنس البشري، والمحافظة على استمراره. (47). وللنظم الاجتماعية المختلفة جذور في حياة الأسرة، فالنشاط الاقتصادي والتربية والضبط الاجتماعي والأنشطة الترويحية والدين وغير ذلك من الأنماط السلوكية؛ ظهرت لأول مرة في حياة الأسرة، وكانت الأسرة في البداية تكوّن

مجتمعا صغيرا متكاملا أكثر من أنها كانت تكون نظاما ينطوي على عدد من الوظائف الخاصة مثل ما هو موجود في المجتمعات الحديثة المعقدة، وبعد سلسلة من التطورات التي شهدتها الأسرة، تحولت من مجتمع صغير يتوافر على كل مقومات الاكتفاء الذاتي إلى وحدة ذات تخصص وظيفي، والأسرة بوصفها جماعة من الأفراد يتفاعلون مع بعضهم البعض؛ تعد الهيئة الأساسية التي تضطلع بعملية الضبط الاجتماعي للجيل الجديد، إذ تقوم بنقل الإرث الثقافي للطفل عبر مراحل عمره المختلفة، وذلك من خلال قيام الوالدين ومن يمثلهما بغرس العادات والتقاليد والمهارات والقيم الأخلاقية في نفسه، وكل هذه الأمور ضرورية تساعد الفرد على القيام بدوره الاجتماعي والمساهمة في حياة المجتمع(48). ولقد اتفقت تجارب العلماء والباحثين على أهمية الأسرة في تحديد شخصية الأبناء، وبخاصة في السنوات الأولى من حياتهم، وأجمعت على أنّها أفضل سلاح يمتلكه المجتمع ويعتمد عليه في التنشئة الاجتماعية وفي بناء الشخصية(49).

من هنا تتضح أهمية الأسرة ودورها في التنشئة الاجتماعية وفي بناء الشخصية الإنسانية، وبخاصة في المراحل الأولى من العمر، فهي تعمل على تزويد الفرد باللّغة، والمهارات، والاتجاهات، وتكسبه العادات، والتقاليد الاجتماعية والقيم(50). وتعرّفه بالمعايير الاجتماعية التي تفرضها الثقافة السائدة وتكسبه معايير أسرته؛ ومن ثم تعد الأسرة أداة للمجتمع تحفظ معاييره، بل وتسهر على الأداء المناسب لتلك المعايير(51). كما تقوم الأسرة بإكساب الفرد أساليب التفاعل الاجتماعي، فهي تنّمي لديه القدرة على الانضباط الذاتي والخارجي، وتمنحه فرصة التعبير عن ذاته، وتدرّبه على كيفية تحمّل المسؤولية(52). وتزوده بالخبرات الضرورية لمراحل حياته، وبالقيم الدينية والخلقية، وتكسبه الشعور

بالانتماء، وتحدّد دوره الاجتماعي(53). ومن ثم تحوله من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي(54).

وإذا كانت الأسرة تكتسي هذه الأهمية بوصفها إطارا مرجعيا يساهم في المحافظة على القيم. فهل صمد ممتص الصدمات العملاق أمام هذا الاختراق؟

في كتابه الأخير "الاضطراب الكبير" يحذر "فرانسيس فوكوياما" من أننا شهدنا انهيارا عظيما في البلدان المتقدمة في منتصف القرن العشرين، نتيجة للتغيرات الكبيرة في العلاقات والروابط الاجتماعية. فلقد أصبح التعقيد سمة مميزة للوجود الإنساني، وأصبحت النظم الاجتماعية هي الأخرى تتجه إلى المزيد من الغموض، وبحلول ثورة المعلومات ازدادت الشكوك حول الإرهاصات المستقبلية، وأصبحت جل المعاملات الحياتية إشكاليات تتطلب الفحص وإعادة النظر(55).

من المؤكد أن القيم ترتبط بالحاجات الأساسية للإنسان، وهناك اختلاف بين الناس في أسلوب التعبير عن حاجاتهم باختلاف ظروف الطبيعة وإمكاناتها، وتبقى القيم صالحة ووظيفية طالما أنها ما زالت تناسب ظروف البيئة التي نشأت فيها، أما إذا تغيرت البيئة أو تطورت، فإن القيم تصبح لا تؤدي وظيفتها ولا تشبع حاجات الأفراد، وفي هذا السياق يؤكد كاظم: "أن التحولات الاقتصادية والاجتماعية هي في الواقع تحول في الظروف والأحوال البيئية وتؤدي بالضرورة إلى تغيير بعض القيم الصالحة في ظروف ما إلى قيم غير صالحة، كما أن هذه التحولات تقود إلى ظهور قيم جديدة يفرضها حدوث حاجات جديدة للناس. فالعلاقة بين التحول الاجتماعي والقيم علاقة تبادلية، ففي الوقت الذي تؤثر فيه القيم في التغير الاجتماعي وتحدد مساراته، فإنّ التحول الاجتماعي يؤثر في القيم ويحدد أنساقها وترتيبها وتدرجها"(56). فنسق القيم يرتبط ارتباطا بنائيا ووظيفيا بالأنساق الأخرى فكل تغير يحدث على مستوى النظم والأنساق سيؤدي إلى تغير

مصاحب للنسق القيمي، وفي المقابل فإنّ نسق القيم هو الآخر يتأثر بالتحولات والتغيرات التي يتعرض لها المجتمع(57).

تشهد الإنسانية اليوم ثورة تقنية كبرى، تتمثل في عولمة الاتصال والإعلام، وإن لهذه الثورة أثرا عميقا في تسريع وتيرة المبادلات واختصار واختزال المسافات، هذا فضلا عن سعيها إلى إزالة الحدود الثقافية الموجودة بين الأمم والشعوب، ولكن من شأن تدفق المعلومات بهذا القدر الهائل والأنماط الثقافية المتعددة والمتنوعة أن يجلب معه المخاطر على ثقافة البلدان، لاسيما النامية منها، إن لم يجر التعامل معها بحذر وروية. وفي الواقع أن انكماش المكان واختصار الزمان واختفاء الحدود هي أمور أصبحت تربط حياة الناس على نحو أشد وأعمق وأسرع مما كان يحدث في الماضي، بحيث يتأثرون بأحداث تقع في أقصى أركان العالم، فقد انهارت الحواجز الجغرافية، ليظهر وينشأ حاجز غير جديد ولكنه غير مرئي، أشبه بشبكة عالمية تضم في صفوفها الموصولين بها، وتستبعد الباقين في صمت صعب إدراكه(58).

ولعل من أبرز الوسائل التي تعتمدها العولمة اليوم هي التكنولوجيات الجديدة، فقد أدت تكنولوجيا الاتصالات بواسطة الأقمار الصناعية منذ منتصف الثمانينات إلى نشوء وسيط جديد قوي له امتداد عالمي، فعلى سبيل المثال تضاعف تقريبا عدد أجهزة التلفاز لكل 1000الف شخص على نطاق العالم خلال المدة من 1980 إلى 1995. بحيث بلغ 235 جهازا بعد أن كان 121 جهاز، وقد شهدت التسعينات ازدهارا في الصناعات متعددة الوسائط، بحيث بلغت مبيعات أكبر 50 شركة في العالم من الشركات متعددة الوسائط 110 بلايين دولار في عام 1993. إن معظم هذه الوسائل هي في الأساس نظام سمعي بصري، وهي بذلك تعد المصدر الأقوى لإنتاج القيم، وتشكيل الوعي والوجدان والذوق(59).

إن استعراضا للتحولات الكبرى التي عرفتها الحضارة الغربية، يمكننا من ملاحظة مفارقة كبيرة وأساسية، فإذا كان من البديهي أن هذه الحضارة قد حققت انجازات باهرة لا سيما في مجالي العلوم والتقنية التي وظفتهما لإسعاد البشرية وتوفير الإنتاج الزراعي والصناعي وتحسينهما وتطويرهما، ومقاومة الأمراض الفتاكة، وتنظيم الحياة السياسية التي بنيت على أساس الديمقراطية، إلى جانب تحقيق التواصل والتقارب بين الشعوب والأمم ومد جسور التعاون الدولي، وتحقيق انجازات غيرت من نظرة الإنسان لذاته وللكون(60)؛ فإنّ هذا التقدم المذهل والباهر الذي شمل كل هذه المجالات قد حمل بين طياته الكثير من عوامل اختلال القيم، فالقيم اليوم تعاني أزمة حضارية شاملة سواء على المستوى الفكري أو الاجتماعي، فالتحولات التي تشهدها المجتمعات الإنسانية كافة من البساطة إلى التعقيد ومن الحياة الزراعية إلى الحياة الصناعية والحياة التقنية المتطورة في مجال الاتصال ونقل المعارف، ما هي إلا نتيجة للتقدم العلمي والتقني المتواصل الذي لا يمكن إيقافه، وهي بدورها تؤثر في التحول الحضاري، وأي تحول يحدث في نسق الحضارة يقتضى تحولا في نسق القيم حسب النظرية الاجتماعية(61). وتتعلق تهم العولمة في مسارها الثقافي والسياسي بالجانب القيمي والأخلاقي، سواء على مستوى التحيز أو تهميش الآخر وعدم الاعتراف بخصوصيته. وغالبا ما يتركز نقد العولمة في مسألة القيم والمفاهيم في قضيتين، تتعلق الأولى بثنائية العنف والجنس في وسائل الإعلام والسينما العالمية وفي القنوات الفضائية التي دخلت إلى كل البيوت، وما يمكن أن تسببه من تدهور في القيم والسلوك من خلال انتشار الإباحية أو الشذوذ في مجتمعات لا تزال تقيم وزنا لقيم العفة والاحتشام. والثانية تنميط القيم ومحاولة جعلها واحدة لدى البشر في المأكل والملبس والعلاقات الأسرية وبين الجنسين وكل ما يتصل بالحياة الفردية والجماعية(62). ذلك أن ثقافة المجتمع لا توجد بمعزل عما يحدث، فهي تتأثر

بأفلام السينما والمضمون الترفيهي، من دراما وراقصات، فالأزياء المعروضة في الدراما التلفزيونية أو تناول الطعام، وأنماط الاحترام والمعاملات بين الأفراد تعد من العوامل المؤثرة على الثقافة الموضوعية، إضافة إلى الإعلانات وما يرتبط بها من عادات استهلاكية تؤثر على القيم والدوافع والمعتقدات، فمن دون شك أن هناك أنشطة اعتيادية تظهر في المضمون الإعلامي يتم استيعابها ثقافيا وبسهولة وتؤثر على وجه الخصوص على الأطفال والشباب، فرفض الزي الوطني مثلا هو تعبير عن حدوث تغير قيمي ثقافي، لأن المضمون الذي يأتي من الخارج يعكس قيم مجتمع أجنبي. ويركز بعض المدافعين عن السيادة الوطنية والاستقلال أن الثقافة المستوردة تنتهك المحظورات، ليس فقط من خلال ما تقدمه من تصرفات اجتماعية غير مقبولة، وإنما من خلال تقديم أساليب جديدة في التعامل وعادات استهلاكية وتمرد عن الأسرة(63). فيرى لازرفيلد وروبرت ميرتون أن وسائل الإعلام في حرصها الشديد على إرضاء قطاع عام من الجمهور، فإنها تهبط بالقيم الجمالية والذوق، وعادة ما تكون على حساب النظم الأخلاقية ومنظومة القيم السائدة في المجتمع(64). فالعولمة الثقافية اليوم تسعى جاهدة إلى تغييب القيم الأصيلة في المجتمع التي نظمها الإسلام، من خلال إباحة العلاقات الجنسية للرجل والمرأة خارج مؤسسة الزواج، وعبر تخفيف قيود الإجهاض للحمل غير المرغوب، كما أن علاقات الأبناء بالآباء وما تنطوي عليه من البر والإحسان وصلة الأرحام، والإحسان إلى الجار، والتعاون والتكافل الاجتماعي، كلها قيم تكاد تكون غائبة اليوم في مسيرة العولمة الثقافية(65). وتورد الباحثة "مي يماني" أن الصلة بالعالم الخارجي من خلال وسائل الإعلام، تمثل من وجهة نظر المحافظين تهديدا حقيقيا وأكيدا للقيم، فالحداثة المكتسبة من الخارج تحمل معها قيم غربية تهدد تقاليد وعادات العائلات السعودية، والفضائيات تفوق مساوئها عن محاسنها، وأن الهدف الحقيقي لها هو محاولة التأثير على القيم العربية الأصيلة(66). وفي دراسة

قامت بها كل من التركي ورزيق" حول التغير في القيم العائلة العربية، توصلت هذه الدراسة إلى أن عناصر التغير الاجتماعي رتبت حركات مهنية رأسية وأفقية، ومكانية ونوعية في المجتمع العربي، كما رتبت تغيرا نسبيا في أدوار النساء والرجال، وفي المكانة الاجتماعية للمرأة، وفي بنية العائلة العربية نفسها، وأخيرا في طبيعة السلطة ووظائفها، التي يمارسها الرجال على النساء، أي في طبيعة العلاقات التي تربط بين هذه الأطراف، وتتسم هذه التغيرات بتحرير متزايد في بعض جوانب النساء والشباب، والنتيجة المحورية في ذلك هو حدوث انتقالات محورية ملموسة تماما في محيط منظومة القيم(67).

ويرى البعض أن التغيرات التي أصابت بنية وشبكة العلاقات الاجتماعية في مجتمعات الخليج العربية، إضافة إلى تأثيرات العولمة قد ساهمت، وبشكل كبير، في تعديل المتغيرات الفاعلة في تشكيل مؤسسة الزواج، منها القبول الضمني لبعض الرجال بالعلاقات خارج إطار مؤسسة الزواج، والتأثر بالقيم والمعايير التي تحكم علاقة الرجل بالمرأة كما هو سائد في المجتمعات الصناعية الغربية. وبدأت تظهر علاقات زوجية مبنية على المصلحة، وتتسم هذه العلاقات بالفتور، فالزوج لا يعرف عن أبناءه إلاّ القليل، والأبناء لا يرون آبائهم إلاّ قليلا، وحياتهم أقرب إلى حياة نجوم السينما المحلية والأجنبية(68). فالقنوات الفضائية اليوم تعرض أنماطا عديدة من المجتمعات المختلفة في عاداتها وتقاليدها وسلوكياتها، ومستويات معيشتها وقيمها ومبادئها وعلاقاتها الاجتماعية، والمشاهد اليوم يتعرض لكل هذه الأنماط، ويحاول أن يصبغ حياته بها أو ببعضها، وأحيانا أخرى يحاول أن يتقمص بعض الأدوار ويمارسها في حياته ومع أسرته، ولعلّ أبرز ما خلفه البث المباشر على قيم الأسرة العربية هو التقليل من دور الأسرة في التنشئة الاجتماعية وفي عمليات التوجيه والإرشاد، بل ويأخذ الأبناء التوجيه من المسلسلات والأفلام؛ بحيث أصبح التلفزيون هو الموجه الأول لقيم وطموحات الصغار، إضافة إلى ذلك

زرع بذور الشك بين الزوجين وانعدام الثقة بينهما. وغياب الثقة بين الناس عامة، وانتشار قيم الغيرة وشيوع الفواحش، وتفجير الغرائز، وتضيع الوقت وضعف الإنتاجية في العمل نتيجة قضاء ساعات طويلة ليلا أمام التلفزيون؛ ومن ثم انتشار الكسل وعدم الإتقان في العمل والتفاني فيه(69). كما أدى البث الفضائي إلى تمزيق العلاقات الأسرية وانتشار الحقد بين الأخوة في الأسرة، وتقليل الأواصر والعلاقات، والتقليل من زيارات الأهل والأقارب والأصدقاء، وانصراف المرأة للأزياء العالمية، وتقليدها للمرأة الغربية في الكثير من أساليب حياتها، والخروج من المنزل دون ضرورة، ومحادثة الرجال، وإهمال الزوج والخروج عن أوامره وعدم طاعته واحترامه، وترك الأبناء تحت يد المربيات، وتفشي ظاهرة الطلاق، والخضوع لتأثرات الهوس الاستهلاكي المفرط بين العائلات.

**5-سبل المواجهة:**

لا شك أنه في ظل التحولات المتسارعة المفضية للعولمة من دون شك سيضعف دور الدولة الوطنية، فالعولمة جاءت لتعبر عن وضع جديد، فإذا كانت الدولة القومية وليدة الثورة الصناعية الأولى، ونتيجة لفصل الدين عن الدولة، فإنّ العولمة وليدة الثورة الصناعية الثالثة، ونتيجة لفصل الأمة عن الدولة، وبالتالي فصل لثقافة الأمة عن السيطرة التامة للدولة، بحيث أصبح للآخرين أيضا تأثيرا عليها، وكان هذا نتاجا للعولمة التي لا تعترف بالحدود، فمثلما تدعو إلى سوق بلا حدود تدعو أيضا إلى ثقافة بلا حدود؛ مما يشكّل تحديا للسيادة الثقافية للدولة(70 ). إذ سينازع الاختصاصات المنوطة بها وسلطاتها عامل جديد يرتكز على ما يسمى بعولمة الاقتصاد، وانتشارالإعلام الذي ينأى عن المراقبة، كما هو الحال بالنسبة للانترنيت، وهذا ما يشكل تهديدا حقيقيا للقيم الوطنية والثقافية والدينية لدى المجتمعات الإسلامية خاصة؛ بل يهدد القيم الغربية الحضارية في حد ذاتها. وفي ظل الحديث عن أزمة القيم، يمكن القول أن عصرنا

اليوم يمر بأزمة القيم؛ لكن يبدو أن هناك من لا يكترث(المفكرين) لما يشكو منه الغير من اختلال في القيم الإنسانية، ولا من سيادة النزعة المادية، لأن هؤلاء يسود بينهم اعتقاد مفاده أن التحول الحضاري والتطور التقني والانتقال من مجتمع التواصل والمعرفة والإعلام، قد أوجدا نسقا جديدا للحياة الإنسانية، يختلف تماما عما ألفته البشرية من ذي قبل، من تقاليد وقيم وغيرها، وهذه هي سنة التطور التي تمثل أقوى سنن الحياة، فكلما حدث تحول حضاري أو علمي تصاحبه تحولات في القيم. بينما تعالت الأصوات المحافظة بالنقد والتشكيك، داعية إلى ضرورة المحافظة على نسق القيم المألوفة، فلو توقفت الحياة كما يريد هؤلاء لفقدت قيم أخرى كالتجديد والتطور نحو الأفضل، ولفقدت الحياة جوهرها الذي يقوم على منطق الصيرورة والتطور(71).

إذا كان بمقدور بعض الدول حاليا أن تحد ولو بصورة جزئية من التدفق الإعلامي والمعلوماتي القادم إليها من الخارج، فإنّ هذه القدرة ستتراجع، والى حد كبير، وقد تنعدم نهائيا في المستقبل في ظل وجود العشرات من الأقمار الصناعية(72).

وكإستراتيجية لمواجهة مخاطر الاختراق الثقافي، يؤكد "الكناني" أننا بحاجة إلى ربط نسق القيم المتحكمة أكثر في حياتنا بالحركية، وبالعوامل التي تؤثر فيها كالعلوم والتقنية المتطورة، وذلك من أجل التصدي للمفاهيم الخاطئة والنتائج السلبية وتحرير العقول والأخلاق من قيم التقليد التي تقف عائقا أمام منابع الإبداع لدى بني البشر، في شتى مجالات الحياة التي نحياها، إضافة إلى تحليل وفهم ظاهرة التدني في الوعي بالنسق القيمي الذي تقدمه عقيدتنا، والتدني أيضا في الوعي الحداثي المتدفق والذي نحاول تقليده ولا نستطيع التساهل معه؛ بل ينبغي تحليل ظاهرة عدم الانضباط مع أي منهما، فالمجتمعات العربية الإسلامية اليوم تتردد بين القيم الإسلامية التي نمثلها في حياتنا العملية، وبين قيم الثقافة

الغربية الوافدة التي تقتضي أساسا ترشيد كل شيء في حياتنا الإدارية والسياسية والاجتماعية.

وفي الأخير فمن الواجب دراسة وتحليل القيم في الجوانب الميدانية التي تعاني من أزمة كمجال الأسرة والمؤسسة التربوية والجهاز الإداري والجهاز القضائي والمؤسسات السياسية والاقتصادية والقطاعات المنتجة ومجال الحياة العقلية والروحية. ويشير "الحلس" إلى أن الأزمة التي تعاني منها عدد ليس بالقليل من المجتمعات المتقدمة والمتخلفة على حد سواء تنحصر أساسا في ضعف قدرتها على مد وبناء جسر ثقافي يهيئ ويسهل من عملية التواصل والتفاعل والترابط فيما بينها(73).

**- الهوامش:**

1- كريم محمد حمزة: الاختراق الثقافي، المفهوم. المرجعية. الوسائل. في: مجلة دراسات اجتماعية(فصلية)، السنة الثانية، العدد السادس، تصدر عن قسم الدراسات الاجتماعية- بيت الحكمة، بغداد ، صيف 2000، ص44.

2- علي باسم خريسان: العولمة والتحدي الثقافي، دار القطر العربي، ط1، بيروت، 2001، ص 31.

3- علي أمينة كاظم: التغير الاجتماعي والثقافي في المجتمع القطري، دراسة ميدانية لمدينة الدوحة، هجر للطباعة والنشر والإعلان والتوزيع، ط1، 1993، ص 46.

4- كريم محمد حمزة، مرجع سابق، ص42.

5- المرجع نفسه: ص42.

6 - رحيمة عيساني: مدخل إلى الإعلام والاتصال، المفاهيم الأساسية والوظائف الجديدة، في عصر العولمة الإعلامية، مطبوعات الكتاب والحكمة، ط1، باتنة- الجزائر، 2006، ص161.

7 – المرجع نفسه: ص162.

8 – هناء السيد: الفضائيات وقادة الرأي، دراسة أثرها على السلوك الاتصالي، العربي للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2005، ص37.

9 – سعيد ناصف: تأثير القنوات الفضائية في منظومة القيم الاجتماعية، دراسة اجتماعية ميدانية، دار النور للطباعة، ط1، مصر، فبراير 2007، ص11.

10 - محمد علي الحوات: العرب والعولمة، شجون الحاضر وغموض المستقبل، مكتبة مدبولي، ط2، القاهرة، 2004، ص72.

11 – المرجع نفسه: ص73.

12 - عبد الرحمن بن عبد الله العفيصان: اثر التحول في القيم الشخصية والأسرية على السلوك العنيف لدى مرتكبي جرائم العنف من الشباب في مدينة الرياض، دراسة وصفية تحليلية مطبقة على عينة من النزلاء من مرتكبي الجرائم العنيفة من الشباب في سجن الحائر بمدينة الرياض، أطروحة مقدمة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه الفلسفة في العلوم الأمنية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، كلية الدراسات العليا، قسم العلوم الاجتماعية، 2006، ص8.

13– عوض بن سعد العمري: القيم الشخصية وعلاقتها بمستوى الأداء لدى طلاب كلية الملك خالد العسكرية، دراسة مقدمة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في العلوم الإدارية، إشراف: د/ متعب مشعل الشلهوب، قسم العلوم الإدارية، كلية الدراسات العليا، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 2003، ص17.

14 - عبد الرحمن بن عبد الله العفيصان: مرجع سابق، ص9.

15 – المرجع نفسه: ص25

16 – المرجع نفسه: ص26

17- عبد المجيد بن مسعود: القيم الإسلامية التربوية والمجتمع المعاصر، كتاب الأمة، سلسلة دورية تصدر كل شهرين، السنة12، العدد 67، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، قطر1914هـ، ص37 .

18 - أمينة علي كاظم: مرجع سابق، ص25.

19 –عبد الغاني عماد: سوسيولوجيا الثقافة، المفاهيم والإشكاليات ...من الحداثة إلى العولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت- لبنان، فبراير، 2006، ص141.

20 - أمينة علي كاظم:مرجع سابق، ص26.

21 – المرجع نفسه: ص43.

22 – بشير معمرية: "التغير في ارتقاء القيم لدى مجموعات عمرية مختلفة من الجنسين"، في مجلة العلوم الانسانية، العدد 15، جوان 2001، ص8.

23 – عبد الغاني عماد: مرجع سابق، ص150.

24 - المرجع نفسه: ص151.

25 - محمد عاطف غيث: قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1988، ص177.

26 - عبد القادر القصير: الأسرة المتغيرة في مجتمع المدينة العربية (دراسة ميدانية في علم الاجتماع الحضري والأسري)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1999، ص33-34

27- كريم محمد حمزة: مرجع سابق، ص45.

28- ماهر إسماعيل الجعفري: التربية العربية بين ثوابت القيم وتحديات الاختراق. في: مجلة دراسات اجتماعية، مجلة فصلية علمية، يصدرها قسم الدراسات الاجتماعية، بيت الحكمة، السنة3، العدد 9، 1421هـ-ربيع 2001، بغداد -العراق، 2001، ص 46.

29- حسن حنفي، صادق جلال العظم: ما العولمة، دار الفكر: دمشق سوريا، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان، ط2، 2000، ص51.

30- كريم محمد حمزة: مرجع سابق، ص46.

31- المرجع نفسه: ص47.

32- المرجع نفسه: ص47-48.

33- عبد الوهاب كنعان خورشيد: "عولمة الثقافة، المخاطر وكيفية المواجهة". في: مجلة دراسات اجتماعية(فصلية)، السنة الثانية، العدد السادس، تصدر عن قسم الدراسات الاجتماعية- بيت الحكمة، بغداد، صيف 2000، ص57.

34- المرجع نفسه: ص61.

35- تركي الحمد: الثقافة العربية في عصر العولمة، دار الساقي، ط1، بيروت، 2001، ص9.

36- كنعان خورشيد عبد الوهاب: مرجع سابق، ص57.

37- المرجع نفسه: ص29.

38- المرجع نفسه: ص31.

39- علي أحمد طه: العولمة...والنظام التعليمي في الوطن العربي- اليمن نموذجا، في: مجلة دراسات اجتماعية(فصلية)، السنة الثانية، العدد السادس، تصدر عن قسم الدراسات الاجتماعية- بيت الحكمة، بغداد ، ربيع 2001، ص60.

40- تركي الحمد: مرجع سابق، ص46.

41- المرجع نفسه: ص87.

42- محمد علي حوات: العرب والعولمة، شجون الحاضر وغموض المستقبل، مكتبة مدبولي،الطبعة الثانية، القاهرة، 2004.ص 162.

43- المرجع نفسه: ص 162.

44- كنعان خورشيد عبد الوهاب: مرجع سابق، ص57.

45- المرجع نفسه: ص58-59.

46- المرجع نفسه: ص59-60.

47 – سعيد حسيني العزة: الإرشاد الأسري، نظرياته وأساليبه العلاجية، مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2000م، ص28.

48 – موسى محمود أبو حوسة: دراسات في علم الاجتماع الأسري، مطبعة الجامعة الأردنية، عمان، 2001، ص12.

49 – علي أسعد وطفة: التنشئة الاجتماعية ودورها في بناء الهوية عند الأطفال، مجلة الطفولة العربية(فصلية)، 2(8)، 92-104. تصدرها الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية، الكويت2001 ، ص98.

50 – زكرياء الشربيني، يسرية صادق: تنشئة الطفل وسبل الوالدين في معاملته ومواجهة مشكلاته، دار الفكر العربي القاهرة، 1416- 1996، ص92.

51 – فؤاد البهي السيد: علم النفس الاجتماعي، دار الكتاب الحديث، ط2، الكويت، 1980، ص188.

52 – محمد محمد بيومي خليل: سيكولوجية العلاقات الأسرية، دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة، 2000، ص14.

53 – سعيد الحسيني العزة: مرجع سابق، ص31.

54 – صالح محمد، أبو جادوا: سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط2، عمان، 2000، ص18.

55– مازن مرسول محمد الربيعي: الأبعاد الاجتماعية والثقافية للمعلوماتية، دراسة ميدانية في مدينة بغداد، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في آداب علم الاجتماع، إشراف الأستاذ الدكتور: عبد المنعم علي نجرس الحسني، كلية الآداب، جامعة بغداد، 2004، ص32-33

56 – عبد الرحمن بن عبد الله العفيصان: مرجع سابق، ص41.

57 – محمد الطاهر بوشلوش: التحولات الاجتماعية والاقتصادية وآثارها على القيم في المجتمع الجزائر(1967-1999)، دراسة ميدانية تحليلية لعينة من

الشباب الجامعي، دار بن مرابط للنشر والطباعة والتوزيع ط1، الجزائر، 2008، ص23.

58- عبد الوهاب كنعان خورشيد: مرجع سابق، ص54.

59- المرجع نفسه: ص57-58.

60 –عبد الرحمن بن عبد الله العفيصان: مرجع سابق، ص41.

61 –المرجع نفسه: ص41.

62 – طلال العتريسي: عولمة القيم والمفاهيم، المصدر الجزيرة، 2007، 2004/10/03. تاريخ الدخول: 2009/07/14 http://www.aljazeera.net/NR/exeres/C1272B70-005B-47FC-A71D-5E6B7B3D4CCC.htm

63 – علي باسم خريسان: مرجع سابق، ص123-124.

64 –إبراهيم بن احمد الشمسي: الطفل بين القيم الأسرية ...والقيم الإعلامية، شموس، 2007/07/01 تاريخ الدخول:2009/07/14 http://www.shomooos.com/content.asp?contentid=541

65- ------: دور التربية والتعليم والمجتمع.. في تحقيق الامن الفكري ومواجهة تحديات العولمة: 2005/05/06 تاريخ الدخول 2009/07/14 ://www.7eda.com/vb/showthread.php?t=25980&goto=nextoldest

66 – يعقوب قبانجي: " منظومة القيم العائلية في الوطن العربي ، محاولة نقدية".2004 في مجلة: المستقبل العربي، مركزدراسات الوحدة العربية، تشرين الأول، أكتوبر، 2004/10 العدد 308 السنة السابعة والعشرون مجلة فكرية شهرية، بيروت 2004، ص115.

67 – المرجع نفسه: ص107.

68 – باقر النجار:" العولمة وتحولات الاسرة في الخليج العربي"، في مجلة: المستقبل العربي، مركزدراسات الوحدة العربية، تشرين الاول، اكتوبر، 2004/10 العدد 308 السنة السابعة والعشرون مجلة فكرية شهرية بيروت 2004، ص130، ص135.

69 – ليلى محمد إسماعيل: البث المباشر في دولة الامارات ، 2006/02/12، تاريخ الدخول:2009/04/14
http://www.shomooos.com/content.asp?contentid=534

70 – علي باسم خريسان: مرجع سابق، ص122.

71 –عبد الرحمن بن عبد الله العفيصان: مرجع سابق، ص42.

72 –ناهدة عبد الكريم حافظ: الثورة المعلوماتية وأثرها في تغيير المجتمع، كلية الآداب، جامعة بغداد، 2007 . مجلة العراق الفيدرالي، www.salamcenter-iraq.com/fedrali_magazin/0/12htm-90k

73 – عبد الرحمن بن عبد الله العفيصان: مرجع سابق، ص43.

**- قائمة المصادر والمراجع:**

1- كريم محمد حمزة: الاختراق الثقافي، المفهوم. المرجعية. الوسائل. في: مجلة دراسات اجتماعية(فصلية)، السنة الثانية، العدد السادس، تصدر عن قسم الدراسات الاجتماعية- بيت الحكمة، بغداد ، صيف 2000.

2- علي باسم خريسان: العولمة والتحدي الثقافي، دار القطر العربي، ط1، بيروت، 2001، ص 31.

3- علي أمينة كاظم: التغير الاجتماعي والثقافي في المجتمع القطري، دراسة ميدانية لمدينة الدوحة، هجر للطباعة والنشر والإعلان والتوزيع، ط1، 1993.

4 - رحيمة عيساني: مدخل إلى الإعلام والاتصال، المفاهيم الأساسية والوظائف الجديدة، في عصر العولمة الإعلامية، مطبوعات الكتاب والحكمة، ط1، باتنة-الجزائر، 2006 .

5 – هناء السيد: الفضائيات وقادة الرأي، دراسة أثرها على السلوك الاتصالي، العربي للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2005.

6 –سعيد ناصف: تأثير القنوات الفضائية في منظومة القيم الاجتماعية، دراسة اجتماعية ميدانية، دار النور للطباعة، ط1، مصر، فبراير 2007.

7 - محمد علي الحوات: العرب والعولمة، شجون الحاضر وغموض المستقبل، مكتبة مدبولي، ط2، القاهرة، 2004، ص72.

8 - عبد الرحمن بن عبد الله العفيصان: اثر التحول في القيم الشخصية والأسرية على السلوك العنيف لدى مرتكبي جرائم العنف من الشباب في مدينة الرياض، دراسة وصفية تحليلية مطبقة على عينة من النزلاء من مرتكبي الجرائم العنيفة من الشباب في سجن الحائر بمدينة الرياض، أطروحة مقدمة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه الفلسفة في العلوم الأمنية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، كلية الدراسات العليا، قسم العلوم الاجتماعية، 2006.

9– عوض بن سعد العمري: القيم الشخصية وعلاقتها بمستوى الأداء لدى طلاب كلية الملك خالد العسكرية، دراسة مقدمة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في العلوم الإدارية، إشراف: د/ متعب مشعل الشلهوب ، قسم العلوم الإدارية، كلية الدراسات العليا، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 2003.

10- عبد المجيد بن مسعود: عبد المجيد بن مسعود: القيم الإسلامية التربوية والمجتمع المعاصر، كتاب الأمة، سلسلة دورية تصدر كل شهرين، السنة12، العدد 67، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، قطر 1914هـ

11 –عبد الغاني عماد: سوسيولوجيا الثقافة، المفاهيم والإشكاليات ...من الحداثة إلى العولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت- لبنان، فبراير، 2006.

12 – بشير معمرية: "التغير في ارتقاء القيم لدى مجموعات عمرية مختلفة من الجنسين"، في مجلة العلوم الانسانية، العدد 15، جوان 2001.

13 - محمد عاطف غيث: قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1988.

14 - عبد القادر القصير: الأسرة المتغيرة في مجتمع المدينة العربية (دراسة ميدانية في علم الاجتماع الحضري والأسري)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1999.

15- ماهر إسماعيل الجعفري: التربية العربية بين ثوابت القيم وتحديات الاختراق. في: مجلة دراسات اجتماعية، مجلة فصلية علمية، يصدرها قسم الدراسات الاجتماعية، بيت الحكمة، السنة3، العدد 9، 1421هـ-ربيع 2001، بغداد -العراق، 2001.

16- حسن حنفي، صادق جلال العظم: ما العولمة، دار الفكر: دمشق سوريا، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان، ط2، 2000.، ص51.

17- عبد الوهاب كنعان خورشيد: "عولمة الثقافة، المخاطر وكيفية المواجهة". في: مجلة دراسات اجتماعية(فصلية)، السنة الثانية، العدد السادس، تصدر عن قسم الدراسات الاجتماعية- بيت الحكمة، بغداد ، صيف 2000.

18- تركي الحمد: الثقافة العربية في عصر العولمة، دار الساقي، ط1، بيروت، 2001.

19- علي أحمد طه: العولمة...والنظام التعليمي في الوطن العربي- اليمن نموذجا، في: مجلة دراسات اجتماعية(فصلية)، السنة الثانية، العدد السادس، تصدر عن قسم الدراسات الاجتماعية- بيت الحكمة، بغداد ، ربيع 2001.

20- محمد علي حوات: العرب والعولمة، شجون الحاضر وغموض المستقبل، مكتبة مدبولي،الطبعة الثانية، القاهرة، 2004.

21 – سعيد حسيني العزة: الإرشاد الأسري، نظرياته وأساليبه العلاجية، مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2000م.

22 – موسى محمود أبو حوسة: دراسات في علم الاجتماع الأسري، مطبعة الجامعة الأردنية، عمان، 2001.

23 – علي أسعد وطفة: التنشئة الاجتماعية ودورها في بناء الهوية عند الأطفال، مجلة الطفولة العربية(فصلية)، 2(8)، تصدرها الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية، الكويت،2001.

24– زكرياء الشربيني، يسرية صادق: تنشئة الطفل وسبل الوالدين في معاملته ومواجهة مشكلاته، دار الفكر العربي القاهرة، 1416- 1996.

25 –فؤاد البهي السيد: علم النفس الاجتماعي، دار الكتاب الحديث، ط2، الكويت، 1980، ص188.

26 – محمد محمد بيومي خليل: سيكولوجية العلاقات الأسرية، دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة، 2000.

27– صالح محمد، أبو جادوا: سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط2، عمان، 2000.

28– مازن مرسول محمد الربيعي: الأبعاد الاجتماعية والثقافية للمعلوماتية، دراسة ميدانية في مدينة بغداد، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في آداب علم

الاجتماع، إشراف الأستاذ الدكتور: عبد المنعم علي نجرس الحسني، كلية الآداب، جامعة بغداد، 2004.

29 – محمد الطاهر بوشلوش: التحولات الاجتماعية والاقتصادية وآثارها على القيم في المجتمع الجزائر(1967-1999)، دراسة ميدانية تحليلية لعينة من الشباب الجامعي، دار بن مرابط للنشر والطباعة والتوزيع ط1، الجزائر، 2008.

30 –طلال العتريسي: عولمة القيم والمفاهيم، المصدر الجزيرة، 2007، 2004/10/03. تاريخ الدخول: 2009/07/14 http://www.aljazeera.net/NR/exeres/C1272B70-005B-47FC-A71D-5E6B7B3D4CCC.htm

31 –إبراهيم بن احمد الشمسي: الطفل بين القيم الأسرية ...والقيم الإعلامية، شموس، 2007/07/01 تاريخ الدخول:2009/07/14 http://www.shomooos.com/content.asp?contentid=541

32- ------: دور التربية والتعليم والمجتمع.. في تحقيق الامن الفكري ومواجهة تحديات العولمة: 2005/05/06 تاريخ الدخول 2009/07/14 ://www.7eda.com/vb/showthread.php?t=25980&goto=nextoldest

33 – يعقوب قبانجي: " منظومة القيم العائلية في الوطن العربي ، محاولة نقدية".2004 في مجلة: المستقبل العربي، مركزدراسات الوحدة العربية، تشرين الأول، أكتوبر، 2004/10 العدد 308 السنة السابعة والعشرون مجلة فكرية شهرية، بيروت 2004.

34 – باقر النجار: " العولمة وتحولات الاسرة في الخليج العربي"، في مجلة: المستقبل العربي، مركزدراسات الوحدة العربية، تشرين الاول، اكتوبر،

2004/10 العدد 308 السنة السابعة والعشرون مجلة فكرية شهرية بيروت 2004.

35– ليلى محمد إسماعيل: البث المباشر في دولة الامارات ، 2006/02/12، تاريخ الدخول:2009/04/14
http://www.shomooos.com/content.asp?contentid=534

36 –ناهدة عبد الكريم حافظ: الثورة المعلوماتية وأثرها في تغيير المجتمع، كلية الآداب، جامعة بغداد، 2007 . مجلة العراق الفيدرالي، www.salamcenter-iraq.com/fedrali_magazin/0/12htm-90k